إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة فبراير ٢٠١٨ م

البساطة التي في المسيح

البساطة هي فضيلة مهملة لا يهتم باقتنائها الكثيرون حيث لا يدركون أهميتها وضرورة الجهاد من أجل اقتنائها مثلها مثل باقي الفضائل الأخرى. واقتناء البساطة ليس أمراً اختيارياً بل هي وصية حتمية ينبغي علينا طاعتها وإلا وقعنا تحت الدينونة. فالسيد المسيح أمرنا بشكل صريح: "كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام" (مت١٠:١٦). كما أنه نبهنا أيضاً أن "من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله" (لو١٨:١٧) أي أن دخول الملكوت مرهون باقتناء بساطة الأطفال. والحقيقة أن البساطة هي صفة من صفات الله ذاته فهو غير مركب وليس فيه ازدواجية. والتعريف اللغوي للبساطة هو عدم التعقيد، والبراءة، والاستقامة. أما قانون البساطة في علم النفس فينص على إدراك الأمور بأسهل طريقة ممكنة بمعنى ميل العقل إلى الحصول على أبسط تفسير ممكن للأمور.

والبساطة هي سمة مشتركة بين القديسين الذين بسبب التصاق عقولهم وقلوبهم بالله كل حين ترتسم بساطته عليهم. وسفر الأعمال يصف لنا حال الكنيسة الأولى التي تزينت بالبساطة من بين فضائل كثيرة قائلاً: "وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مسبحين الله، ولهم نعمة لدى جميع الشعب" (أع٢: ٤٦-٤٧). وإن كانت البساطة صفة مشتركة بين العديد من القديسين إلا أن الروح القدس أعطى للقديس بولس البسيط تلميذ الأنبا أنطونيوس هذه الفضيلة بفيض حتى أنه لُقب "بالبسيط".

إن تعقيد الأمور يضع على الإنسان عبئاً فوق عبء. فالمشاكل والضغوط اليومية يتضاعف وزنها عندما يتناولها الإنسان بطريقة معقدة. أما البساطة فهي تهون الأمور على الإنسان وتخفف عنه أحماله. بل أن الشخص الذي يفتقد البساطة لا يعقد فقط المشاكل بل هو يختلقها ويصعب الأمور السهلة ويعرقل سيرها. أما الشخص البسيط فهو محبوب من الجميع لما يشيعه من جو هادئ وديع متفائل.

والكتاب المقدس يقدم لنا مجالات مختلفة للبساطة:

(١) **بساطة القول**: حيث يخلو الكلام من اللف والدوران والمواربة. هو قول واحد صريح وواضح لا يحتمل التأويل: "ليكن كلامكم نعم نعم. لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (مت٥: ٣٧)، "كي يكون عندي نعم نعم ولا لا" (٢كو١:١٧).

(٢) **بساطة العين**: ويعني إدراك واستقبال الأمور بطريقة بسيطة نقية: "سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً" (مت٦: ٢٢، ٢٣).

(٣) **بساطة الذهن**: الذهن البسيط لا يعقد الأمور بتأويلات وتفسيرات شخصية وتوقع السوء بشكل مستمر يبعث على التشاؤم. إنه لا يتشكك ولا يتدمدم ولا يظن السوء. وعلى الرغم من ذلك فإنه غير ساذج بل هو حكيم يميز الأمور فبساطة الذهن لا تتعارض مع فضيلة التمييز. "وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه واعرضوا عنهم. لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء. لأن طاعتكم ذاعت إلى الجميع فأفرح أنا بكم وأريد أن تكونوا حكماء للخير وبسطاء للشر. وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً" (رو١٦: ١٧- ٢٠)، " ولكنى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح" (٢كو١١: ٣)، " افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتوٍ تضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في٢: ١٤-١٥).

(٤) **بساطة القلب**: وتعني نقاوة القلب وصلاح النية. " أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح خادمين بنية صالحة كما للرب" (أف٦: ٥)، "وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مسبحين الله، ولهم نعمة لدى جميع الشعب" (أع٢: ٤٦-٤٧).

(٥) **بساطة التصرف والسلوك**: وهو سلوك تلقائي خالي من التكلف والتعقيد ولكنه خالي أيضاً من الاندفاعية والحمق. " لأن فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا أننا في بساطة وإخلاص الله لا في حكمة جسدية بل في نعمة الله تصرفنا في العالم ولا سيما من نحوكم" (٢كو١: ١٢)

(٦) **بساطة المظهر**: هكذا عاش السيد المسيح على الأرض في ملبس ومسكن بسيط وكان يأكل طعاماً بسيطاً. "ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية، من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادئ، الذي هو قدام الله كثير الثمن" (١بط٣: ٣-٤).

إن زوجة الكاهن هي أحوج من غيرها إلى اقتناء فضيلة البساطة. فطبيعة دورها ودور زوجها الكاهن في الخدمة تضع على عاتقها الكثير من المسئوليات والضغوط المعقدة بطبيعتها. بالتالي، هي تحتاج لتناول الأمور بشكل سهل يبعث على التفاؤل ويبسط الأمور بدلاً من أن يزيدها تعقيداً. ومما يساعد زوجة الكاهن على اقتناء تلك الفضيلة أن تقتني أيضاً فضيلة الإيمان وفضيلة التسليم اللذين يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بفضيلة البساطة فكل واحدة من الثلاثة تؤدي إلى الأخرى.